

97

# قصص الأنبياء

## محمد

(صلى الله عليه وسلم) (41)

## لى الرفيق الأعلى

يقال: يا محمد (رحمته على القلوب)  
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)  
أشرفنا يا محمد (صلى الله عليه وسلم)





فِي نِهَآيَةِ السَّنَةِ الْعَآشِرَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ حَجَّ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، وَهِيَ أَيْضًا حَجَّةُ  
الْإِسْلَامِ وَحَجَّةُ الْبَلَآغِ ..

لَقَدْ سُمِّيَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَدَّعَ  
النَّاسَ فِيهَا ، فَلَمْ يَحْجَّ بَعْدَهَا ، وَلَمْ يَلْتَقِ بِالنَّاسِ فِي  
مَوْقِفِ الْحَجِّ أَبَدًا ..

وَسُمِّيَتْ حَجَّةُ الْإِسْلَامِ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ

لم يحج من المدينة سوى هذه المرة ، لكنه

حج قبل الهجرة عدة مرات قبل النبوة وبعدها . . .

وسميت حجة البلاء لأن الرسول ﷺ بين للناس

فيها كل شيء عن فريضة الحج قولاً وعملاً وبلغهم

كل شيء عن شريعة الحج وأركانها ، ولم يترك شيئاً

من دعائم الإسلام وقواعده إلا بلغهم به ، ووضح

لهم الحلال والحرام وحذرهم من مكائد الشيطان ،

فأنزل الله عليه قوله - تعالى - في سورة المائدة ،

في يوم عرفة :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (الآية ٣ من سورة المائدة)

ولما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على الناس

بكي (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ، فسأله بعض

الصحابية :

- ما الذي يبكيك ؟!

فَقَالَ (عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ اسْتَشَعِرَ وَفَاةَ النَّبِيِّ ﷺ :

- لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا النُّقْصَانُ ..

وَفِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، وَهِيَ أَيَّامُ الْعِيدِ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُورَةُ النَّصْرِ :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ الْوِدَاعُ ، وَأَنَّ أَوَانَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى قَدْ قَرُبَ .. وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِلنَّاسِ فِي خُطْبَتِهِ بِهَذِهِ الْحِجَّةِ :

- « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ، فَلَعَلِّي لَا أَحِجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا » ..

وَلَمَّا انْتَهَتْ مَنَاسِكُ الْحَجِّ عَادَ الرَّسُولُ ﷺ وَعَادَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ .. وَأَمَرَ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ أَنْ يُعَدُّوا جَيْشًا

يَتَجَهُّ إِلَى الشَّامِ بِقِيَادَةِ (أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
وَكَانَ لَمْ يَزَلْ شَابًا فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَأَنْ  
يَكُونُ فِي هَذَا الْجَيْشِ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَكِبَارُ  
الصَّحَابَةِ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ (أَبُو بَكْرٍ) وَ (عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
أَجْمَعِينَ ، فَامْتَثَلَ الصَّحَابَةُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبَدَءُوا  
يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِتَجْهِيزِ الْجَيْشِ ..

## إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ



ولم يمض وقتٌ طویل ، حتى مرض رسول  
الله ﷺ مرضه الذى توفى فيه ..

ف ذات ليلة قال رسول الله ﷺ لخادمه (أبى  
مويهبة) :

« يا أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل  
هذا البقيع ، فانطلق معى » ..

وانطلق رسول الله ﷺ إلى (البقيع) وهو المكان  
الذى توجد فيه مقابر المسلمين خارج المدينة ،  
ومعه (أبو مويهبة) ، فلما وقف بين المقابر ، قال :

« السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنئ لكم  
ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه .. أقبلت الفتن  
كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرُّ  
من الأولى » ..

ثم أقبل رسول الله ﷺ على (أبى مويهبة) ، فقال :

- « يا أبا مويهبة ، إننى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة .. »

فقال (أبو مويهبة) :

- فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ..

فقال رسول الله ﷺ :

- « لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة » ، ثم استغفر ﷺ لأهل (البيع) وانصرف عائدا إلى بيته ، وهو يشعر ببداية المرض ..

ولما وصل ﷺ إلى بيته وجد زوجته السيدة (عائشة) ﷺ تشكو صداعا فى رأسها ، فلما رآته ، قالت متألمة :

- وأرأساه ..

فقال لها ﷺ :

- « بل أنا والله يا عائشة وأرأساه .. »

وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ عَلَى زَوْجَاتِهِ  
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ ، يُودِعُهُنَّ الوداعَ الأخيرَ ، حَتَّى  
اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ وَهُوَ فِي بَيْتِ زَوْجَتِهِ (مَيْمُونَةَ بِنْتَ  
الْحَارِثِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجَمَعَ زَوْجَاتِهِ وَاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُنْقَلَ  
إِلَى بَيْتِ (عَائِشَةَ) لِيَمْرُضَ فِيهِ ، فَوَافَقْنَ ، فَجَاءَ  
(عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) وَابْنُ عَمِّهِ (الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ)  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَاسْتَدَّ عَلَيْهِمَا النَّبِيُّ ﷺ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ  
(عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ..

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعَ الْمَرَضِ طَلَبَ  
مِنَ الْحَاضِرِينَ حَوْلَهُ أَنْ يَسْكُبُوا عَلَيْهِ الْمَاءَ ، حَتَّى  
يُلَطِّفَ مِنْ دَرَجَةِ حَرَارَتِهِ ، وَحَتَّى يَتِمَكَّنَ مِنَ الْخُرُوجِ  
إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَيُوصِيهِمْ بِبَعْضِهِمْ  
خَيْرًا ..

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ عَاصِبًا رَأْسَهُ  
مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ،



فَاسْتَغْفِرْ لِشُهَدَاءِ (أَحَدٍ) وَأَكْثَرِ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ .. ثُمَّ  
نَعَى نَفْسَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، قَائِلًا :

« إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا ،  
وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » ..

فَفَهِمَ (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) ﷺ مَا يَقْصِدُهُ النَّبِيُّ ﷺ ،  
وَعَرَفَ أَنَّهُ يَنْعَى إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وَبَكَى بِشِدَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ :

« بَلْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ..



فقال الرسول ﷺ :

- « على رسلك يا أبا بكر - أي على مهلك - ..  
ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يسدوا كل  
الأبواب التي تفتح على المسجد ، ما عدا الباب  
المؤدي إلى بيت (أبي بكر) ﷺ ، وقال :

- « لو كنت متخذاً أحداً من العباد خليلاً ،  
لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صفة وإخاء إيمان ،  
حتى يجمع الله بيننا عنده » ..

وأوصى ﷺ بالأنصار خيراً ، فقال :

- « يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ،  
فإن الناس يزدون وإن الأنصار على هيئتها ، وإنهم  
كانوا موضع عيبي (سري) التي آويت إليها ،  
فأحسنوا إلي محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » ..

وأمر رسول الله ﷺ الناس أن يتموا تجهيز  
جيش (أسامة) المسافر إلى الشام ، ثم عاد ﷺ إلى  
بيت (عائشة) ﷺ ، وأخذ المرض يشتد به ..

وحرج (أسامة بن زيد) رضي الله عنه بمن تحضر معه  
من الحيش فعسكر بهم حارج المدينة ، ينتظر  
اكتمال الحيش .

وسهر (العباس) رضي الله عنه عم النبي ﷺ وروحات  
التي وأهل بيته عليه يمرضونه في مرضه الأخير ..  
ولما ثقل الممرض بالرسول ﷺ ، ولم يعد يقدر  
على الخروج إلى المسجد للصلاة بالناس ، قال :  
« مروا أبا بكر فليصل بالناس » ..

فقالت السيدة (عائشة) رضي الله عنها :  
« يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف  
الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ..  
فقال ﷺ :

« مروا فليصل بالناس » ..  
وكررها عدة مرات ..

وفي ذلك الوقت كان (عمر) رضي الله عنه موحودا  
بالمسجد ، وكان (أبو بكر) رضي الله عنه عائبا عنه ،

فَقَالَ أَحَدُ الْحَاصِرِينَ .

- قُمْ يَا عُمَرُ فَصَلِّ بِالنَّاسِ ..

وَلَمْ يَكُنْ (عُمَرُ) ﷺ قَدْ عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
قَدْ أَوْصَى بِأَنْ يُصَلِّيَ (أَبُو بَكْرٍ) بِالنَّاسِ ، فَقَامَ وَصَلَّى  
بِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولُ ﷺ تَكْسِيرَ (عُمَرُ) ، قَالَ .  
- « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ » يَا أَيُّ اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ ..  
يَا أَيُّ اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ » ..

فَصَلَّى (عُمَرُ) ﷺ بِالنَّاسِ هَذِهِ الصَّلَاةَ ، وَلَمَّا  
حَاءَ (أَبُو بَكْرٍ) ﷺ أَحَدُ ﷺ أَحَدٍ يُصَلِّيَ بِهِمْ بَقِيَّةَ الصَّلَوَاتِ ..  
وَفِي فَجْرِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تُوَفِّي فِيهِ  
الرَّسُولُ ﷺ ، كَانَ (أَبُو بَكْرٍ) ﷺ يَوْمَ النَّاسِ فِي  
الصَّلَاةِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَاصِبًا رَأْسَهُ ،  
وَقَدْ أَضَاءَ وَجْهُهُ بِنُورٍ سَاطِعٍ كَالْبَدْرِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ  
وَهُمْ فِي الصَّلَاةِ عِلَا السُّرُورِ وَخَوْهَهُمْ وَاسْتَبَشَرُوا  
بِشَفَائِهِ ﷺ ، وَتَرَاهُ (أَبُو بَكْرٍ) ﷺ عَنْ مَكَانِهِ  
لِيُؤْمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ .

« صَلِّ بِالنَّاسِ » ..

وَجَلَسَ ﷺ عَنْ يَمِينِ (أَبِي بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَلَّى قَاعِدًا ..  
وَلَمَّا انْتَهَتْ الصَّلَاةُ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ ،  
وَأَخَذَ يُوصِيهِم بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ  
وَالْتِمَسْكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَرِسْنَةِ رَسُولِهِ ، وَأَخَذَ يُحِبِّهِمْ فِي  
الْجَنَّةِ وَيُخَوِّفُهُمْ مِنَ النَّارِ ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ حَدِيثِهِ ، قَالَ  
(أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :



- يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي أَرَاكَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ،

كَمَا نَحِبُ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « نَعَمْ » ..

وَانْصَرَفَ (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَيْتِهِ ، وَدَخَلَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ (عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ وَدَعَ  
أَصْحَابَهُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ ..

وَحِينَ دَخَلَ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ أَلْقَى بِرَأْسِهِ عَلَى صَدْرِ  
زَوْجَتِهِ (عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ عَاوَدَهُ الْأَلَمُ الشَّدِيدُ ،  
وَدَخَلَ أَخُو السَّيِّدَةِ (عَائِشَةَ) يَزُورُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
وَبِيَدِهِ عُودُ سِوَاكٍ أَحْضَرُ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى  
السَّوَاكِ ، وَعَرَفَتْ السَّيِّدَةُ (عَائِشَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ  
يَسْتَاكَ ، فَقَالَتْ لَهُ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ تُحِبُّ أَنْ أُعْطِيكَ هَذَا السَّوَاكَ ؟

فَقَالَ ﷺ :

- « نَعَمْ » ..



فَاعْطَتْهُ السُّوَاكُ ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُمَرُّ السُّوَاكُ  
عَلَى أَسْنَانِهِ وَيَسْتَاكُ بِهِ ، حَتَّى انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ ..

وَشَعَرَتْ السَّيِّدَةُ (عَائِشَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
قَدْ بَدَأَ يَثْقُلُ ، فَنَظَرَتْ فِي وَجْهِهِ ، وَرَأَتْهُ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ إِلَى  
السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ :

« بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ .. بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى  
مِنَ الْجَنَّةِ » ..

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ (عَائِشَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

.. خَيْرَتْ فَأَخْتَرْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ..

وَفَاضَتْ رُوحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَارِئِهَا ..

انْتَقَلَ ﷺ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ ..

إِلَى النِّعِيمِ الْأَبَدِيِّ بِجُودِ رَبِّهِ ، فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ ،

فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ،

إِلَى أَنْ نَلْقَاهُ فِي يَوْمِ الدِّينِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٣٣٨

التسجيل المولي : ٢٠٠٦ - ٣٧٨ - ٩٧٧

● فصل الأنبياء ● الكتاب التالي ●

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٢) الخليفة الأول

● احرص على اقتنائه ●